IJSSP

المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الرابع (ص: 82 - 90)
15 – نيسان – 2021 م

www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[النظرية البنائية وتطبيقاتها في تعليم وتعلم مهارات اللغة الثانية]

[إعداد الباحثة: شيماء حليم]

[طالبة باحثة بسلك الدكتوراه، بكلية علوم التربية/ جامعة محمد الخامس الرباط]

ملخص البحث:

تعد اللغة من أهم التعلمات التي يركز الإنسان على تعلمها طيلة حياته؛ باعتبارها وسيلة جوهرية للتعبير عن الأفكار، والتواصل البشري؛ لها قواعد ومهارات تفرض على المتعلم أن يتعلمها في إطار علمي بحث. وإذا كانت اللغة وسيلة تهدف إلى التواصل الإنساني؛ فإن تعلمها يعتبر هدفا في حد ذاته؛ إذ تعتبر من أهم التعلمات التي تطرقت لها اللسانيات التطبيقية بشكل عام، وعلم النفس اللغوي بشكل خاص من خلال نظريات التعلم. ففي الوقت الراهن، أصبح الاهتمام ينصب على كيف نتعلم؟ بالموازاة مع الاهتمام؛ بماذا نتعلم؟ أي التركيز على الكيفية التي تتم بها عملية التعلم بجانب الاهتمام باكتساب المعرفة؛ وذلك انطلاقا من أساس سيكولوجي بحت. هذا الاهتمام دفع الباحثين الذين يشتغلون في مجال تدريس اللغات إلى تسليط الضوء على ما جاءت به الأبحاث العلمية التي أجريت في نطاق نظريات التعلم، والاستفادة من نتائجها في تجويد تعليم اللغات.

شهد الميدان التربوي بما فيه ميدان تعليم وتعلم اللغات تحولا جليا على مستوى المقاربات والبيداغوجيات؛ حيث أصبحت البيداغوجيات الحديثة تولي اهتماما بالغا لفاعلية المتعلم داخل المنظومة التربوية، متخطية منهجية التلقين السالفة؛ التي كانت تعتمد على نقل المعرفة دون إشراك المتعلم في عملية بنائها. إذ لم يصبح المعلم هو محور عملية التعليم، بل أصبح دوره دورا تشاركيا يرتكز على التوجيه والإرشاد لأنشطة هدفها إثارة فاعلية المتعلم وتحفيزه على إبراز تمثلاته، ومهاراته، ومعارفه السابقة؛ التي أصبحت لا مناص منها في إنجاح العملية التعليمية التعلمية في الوقت الراهن.

وفي هذا الإطار؛ نركز في مقالنا هذا على واحدة من أهم النظريات التي أثرت في بلورة المقاربات والبيداغوجيات الحديثة؛ من خلال جعل المتعلم محور العملية التعليمية التعلمية، ونخص بالذكر هنا؛ **النظرية البنائية** للعالم السويسري جون بياجيه(ت1980). حيث سيركز هذا المقال على تطبيقات مبادئ النظرية البنائية على تعليم المهارات اللغوية الأربع:(**الاستماع، الكلام، القراءة، الكتابة**)؛ من خلال الإجابة على الاشكال المحوري التالي:

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الرابع (ص: 82 - 90)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

كيف تطبق مبادئ النظرية البنائية على تعليم المهارات الأربع للغة الثانية؟

1 الإطار النظري:

إن نظريات التعلم أسهمت بشكل جلي في تطوير العملية التعليمية التعلمية؛ انطلاقا من ربطها كل ما يتعلمه الإنسان بالجانب التطبيقي؛ اعتمادا على التجارب الواقعية، والملاحظة المباشرة والعمليات الحسية الملموسة، متخطية بذلك اقتران التعلم بالجانب التحليلي النظري فقط. ومن بين أهم النظريات التي ساهمت في إغناء المقاربات التعليمية التعلمية الحديثة؛ **النظرية البنائية**؛ وهي من نظريات التعلم التي ظهرت في القرن العشرين؛ والتي ربطت مجال التدريس والتعلم بشكل عام بالإطار السيكولوجي- النفسي؛ ليصبح الاهتمام بالتعلم اهتماما إجرائيا ومنهجيا يراعي الأبعاد النفسية للسلوك الإنساني.

وفي هذا الصدد؛ تعتبر اللغة معرفة علمية قابلة للتعليم والتعلم كسائر التعلمات التي تقدم للمتعلم؛ والتي يجب اقترانها كذلك بالجانب السيكولوجي؛ لرصد مراحل تعلم الفرد للمهارات الأربع: **الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة**، وكل الجوانب المتعلقة بعملية التواصل اللغوي. وذلك من خلال الاستعدادات النفسية، والقدرات البيولوجية، والعقلية، والبيئية المحيطة به.

1.1 مفهوم النظرية البنائية:

تعد **النظرية البنائية** من النظريات السيكولوجية التي تستند عليها **المقاربة بالكفايات**؛ وهي أهم المقاربات التي تشتغل بها المدرسة المغربية، والغربية على حد سواء. فالتعليم بمختلف مواده الدراسية يقوم- ضمن ما يقوم عليه- على تطبيقات **النظرية البنائية**؛ التي جاءت لتولي الاهتمام بخصائص المتعلم الذاتية، وتشركه في بناء العملية التعليمية التعلمية. تعتبر النظرية البنائية من أهم النظريات التي اهتمت بالتعلم، واعتبرت المتعلم محورا فعالا في تحقيق اكتساب التعلمات؛ من خلال تفاعل ذاته مع المثيرات الخارجية التي يتلقاها. يعرف الدكتور عبدالكريم غريب البنائية بقوله: **"البنائية صفة تطلق على كل النظريات والتصورات التي تنطلق في تفسيرها للتعلم من مبدأ التفاعل بين الذات والمحيط؛ من خلال العلاقات التبادلية بين الذات العارفة، وموضوع المعرفة"**[1]

ظهرت **النظرية البنائية** خلال النصف الأول من القرن العشرين. وعندما تُذكر النظرية البنائية يُذكر اسم العالم السويسري جون بياجيه (1896-1980)؛ باعتباره رائدا للنظرية ومؤسسها الفعلي. عمل بياجيه على تأسيس النظرية البنائية بعد عقود من الأبحاث النظرية والتطبيقية المرتبطة بالنمو المعرفي، وتطور التعلم عند الإنسان بدءا من مرحلة الطفولة؛ حيث بدأ ملاحظاته الأولى على بناته الثلاثة، ثم وسع الدائرة بعد ذلك. ومن بين أهم مؤلفاته في هذا المجال كتاب: **سيكولوجية الطفل** والذي صدر سنة 1960. **"ظل بياجيه نحو ستين عاما تقريبا يبحث في مسألة تفكير الأطفال من أولى الأعمار المختلفة – بما فيه أطفاله أنفسهم. ويحلل طريقة نمو معرفتهم عن العالم المحيط بهم"**[2]

أعطى جون بياجي للنمو أهمية متميزة، واعتبره عاملا أساسيا في تطوير قدرات الإنسان. فعلى قدر النمو الفسيولوجي والعصبي، تنمو القدرات العقلية، والخصائص النفسية. إذ يعتبر أن النمو المعرفي ينقسم الى مراحل

[1] د.عبدالكريم غريب، المنهل التربوي: معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية والديداكتيكية والسيكولوجية، منشورات عالم التربية، الجزء الأولى، الطبعة الأولى 2006، ص: 216.

[2] د. حسن حسين زيتون، د. كمال عبدالحميد زيتون، البنائية منظور ابستمولوجي وتربوي، (لم تذكر دار النشر)، الطبعة الأولى 1992، ص:35.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الرابع (ص: 82 - 90)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

حسب الفئة العمرية، وأن الأفكار العقلية للإنسان تتطور في كل مرحلة. فالقدرات لا تبقى ثابتة، لكن تطورها رهين بالزمان؛ تتغير كلما تقدم الإنسان في العمر وتطور نموه الفيسيولوجي والنفسي. فتقبل المتعلم للمثيرات الخارجية، وردة فعله اتجاه ما يرد عليه من العالم الخارجي، يختلف من مرحلة عُمرية الى أخرى. وقد قسم بياجيه النمو المعرفي عند الإنسان إلى أربع مراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة الحس الحركية؛

المرحلة الثانية: مرحلة ما قبل العمليات؛

المرحلة الثالثة: مرحلة العمليات المادية؛

المرحلة الرابعة: مرحلة العمليات المجردة.

1.2 مبادئ التعلم وفق النظرية البنائية:

أعاد رائد النظرية البنائية جون بياجيه الاعتبار **للذات المتعلمة**؛ واعتبرها عاملا فاعلا ومؤثرا في موضوع التعلم؛ وذلك من خلال فتح المجال للمتعلم داخل الفصل الدراسي لتقديم تمثلاته وخبراته التي تبرز طريقة تفكيره وتعلمه، وإشراكها في بناء موضوع الدرس وفهمه. **"تفترض نظرية التعلم البنائية أن المتعلمين يجلبون الخبرة والفهم إلى الفصول الدراسية. وبالتالي فإنهم لا يواجهون معلومات جديدة خارج السياق، ولكن بدلا من ذلك يطبقون ما يعرفونه لاستيعاب هذه المعلومات، أو يعاد تأطير معارفهم السابقة ليتناسب مع فهم جديد اكتسبوه. وفي كلتا الحالتين، فإن عملية التوصل إلى المعرفة التفاعلية واحدة"**[3]

تعتقد **النظرية البنائية** أن المتعلم يتلقى المعرفة انطلاقا من قدراته العقلية، وخصائصه النفسية؛ فحينما يعرض المعلم موضوع الدرس، يفهمه المتعلم ويتفاعل معه بناء على شخصيته، وخبراته، ومكتسباته السابقة. فالمتعلم من هذا المنظور؛ يعتبر عاملا فعَّالا في بناء الدرس، ومحور العملية التعليمية التعلمية؛ يؤثر على موضوع التعلم ويتأثر به؛ انطلاقا من التمثلات التي خزنها من التجارب والمحيط. وفي هذا السياق، يعد المعلم موجها ومرشدا لأنشطة المتعلمين.

استفادت المنظومة التربوية من دراسات النظرية البنائية المرتبطة بشروط التعلم؛ متمثلة في إعطاء المتعلم مساحة مميزة للإبداع، وخلق الأنشطة التي تُحَفِّزُه على المبادرة والتفاعل داخل الفصل. وإذا اعتبرنا أن المعلم من المنظور البنائي مرشدا وموجها لتفاعلات المتعلم، فالأخير ينبغي أن يأخذ حيزا زمانيا كبيرا داخل الفصل؛ يتمثل في إشراكه في بناء الدرس، واعتباره مؤثرا على موضوع التعلم، وليس فقط متلقيا سلبيا له. "على مستوى بيداغوجي، أثرت البنائية على التصورات الديداكتيكية، حيث وُجه الفعل التربوي نحو وضعيات تفاعلية تثير لدى التلميذ الحاجة إلى البحث وصياغة المشكلات، وإثارة الصراعات، وخلق فُرص المبادرة والابداع"[4] وبذلك فإن التعلم قائم على وضعيات تفاعلية تجمع موضوع التعلم وشخصية المتعلم في قالب تنظيمي بحت يوجهه المعلم.

[3] Linda Lambert, Deborah Walker and others, The Constructivist Leader: Second Edition, Foreword By: Maxine Greene, Published by Teachers College Press, Columbia University 2002, P:26.

[4] د.عبدالكريم غريب، المنهل التربوي: معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية والديداكتيكية والسيكولوجية، منشورات عالم التربية، الجزء الأولى، الطبعة الأولى 2006، ص: 217.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الرابع (ص: 82 - 90)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

1.3 اللغة وفق النظرية البنائية:

ارتبط تصور **النظرية البنائية** اتجاه اللغة؛ بالنظرة العامة التي يقدمها الاتجاه المعرفي حول النمو وعلاقته باكتساب اللغة والمعرفة؛ حيث إن بياجيه لم يخصص بحثا للغة، واعتبرها خاضعة للعمليات المعرفية؛ **"ترى النظرية البنائية أن النمو شرط رئيس في اكتساب المعارف، ومن بينها اللغة، باعتبار أن بياجيه لم يخصص بحثا كافيا لدراسة مسألة اللغة، واعتبر اللغة تابعة للمعارف العامة التي يكتسبها الطفل"**[5]

تُكتسب اللغة وفق **النظرية البنائية**، والاتجاه المعرفي بشكل عام؛ انطلاقا من التفاعل الذي يطال العوامل البيولوجية، والنفسية، والاجتماعية للمتعلم؛ بحيث تؤثر خصائصه الذاتية، ومحيطه البيئي على عملية التعلم اللغوي. **"مؤيدو الاتجاه المعرفي ومنهم بياجيه، وسينكلر، وانهلدر يعتقدون أن الطفل يكتسب اللغة؛ من خلال تفاعل العناصر البيولوجية، والنفسية، والاجتماعية. وهما يؤمنون بالنمو المستمر للغة طوال الحياة... عملية اكتساب اللغة تعتمد على عوامل أخرى، من أهمها عملية التفكير، فهذه العملية تمكن الطفل من تعلم اية لغة يتعرض لها"**[6]. كما أن التفكير يعتبر عاملا فعَّالا في اكتساب اللغة؛ فمادام المتعلم قادرا على التفكير، سهل عليه التعلم كيف ما كان؛ ومن بين ذلك اللغة على حسب الاتجاه المعرفي.

تعتقد **النظرية البنائية** أن المحيط الخارجي يؤثر على عملية التعلم؛ من خلال الاستجابة لمثيرات تحفز المتعلم على اكتساب مختلف التعلمات؛ بما في ذلك اللغة. كما أن البنائية لا تقصي العامل الداخلي للمتعلم، بل تخول له أهمية قصوى؛ من خلال التفاعل مع المثيرات الخارجية؛ مما يجعله مؤثرا ومتأثرا داخل المنظومة التربوية.
يعرف الدكتور عبدالرحيم واثق اللغة وفق النظرية البنائية بقوله: **"عند ظهور اللغة لا يجد الطفل نفسه أمام عالم مادي كما كان من قبل، بل أمام عالمين جديدين ومترابطين بشكل وثيق هما: العالم الاجتماعي، وعالم التمثلات الداخلية"**[7] إن عملية تعلم اللغة من المنظور البنائي، شأنه شأن اكتساب أي معرفة جديدة؛ يقوم على **التفاعل**؛ بين الخبرات السابقة، والقدرات العقلية، والخصائص الذاتية، والعوامل الخارجية.

1.4 البنائية وتعلم اللغة الثانية:

لم تخصص **النظرية البنائية** تفسيرا لتعلم اللغة الثانية على وجه التحديد. لكن في المقابل قدمت لنا شروط التعلم وفق تصورها؛ والتي اعتبرت من الأسس النظرية التي تستند عليها **المقاربة بالكفايات**. فالتعليم بمختلف مواده الدراسية يقوم على تطبيقات النظرية البنائية؛ التي جاءت لتولي الاهتمام بخصائص المتعلم الذاتية، وتشركه في بناء العملية التعليمية التعلمية. واللغة من هذا المنطلق: هي معرفة يتعلمها المتعلم داخل الفصل الدراسي ضمن التعلمات التي يتعلمها خلال مساره الدراسي. وفي هذا الإطار، يمكننا الاستفادة من شروط هذه النظرية في مجال تعليم وتعلم اللغات، وتطبيقها على تعليم مهارات اللغة الثانية.

2- "البنائية وتعليم اللغة الثانية/ الأجنبية:

أسس النظرية البنائية فيما يتعلق بتعليم اللغة، تتمثل فيما يلي:

1 التعليم يكون مبنيا على التفاعل، والمشاركة في الفصول الدراسية؛

[5] عبدالرحيم واثق، تقويم الكفايات اللغوية واستراتيجيات تعليم وتعلم اللغة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2017، ص:59.
[6] تحرير: محمد عودة الريماوي، علم النفس العام، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الثالثة 2008، ص:415.
[7]- التربية والنمو الذهني لدى الطفل، لجان بيجي، ترجمة محمد الحبيب بلكوش، ص: 27، نشر الفنك 1993، من غير ذكر رقم الطبعة.

2 التركيز بشكل فعال على مركزية متعلم اللغة، مما يعني منحه استقلالية؛

3 يجب أن يعي الطالب بالعمليات التي تجري في الفصول، والوعي اللغوي، والثقافي؛

4 الطالب نشط، مشارك، متحدث، وليس سلبي".[8]

خلال البحث عن تفسير موجه لاكتساب اللغة الثانية، لم نجد أن النظرية البنائية أولت اهتماما مخصصا لهذا المجال بالتحديد. لكن في المقابل هناك دراسات طبقت شروط تعلم النظرية على تعليم اللغة الثانية، وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. ومن بين هذه الشروط؛ خلق وضعيات تعلمية داخل الفصل الدراسي؛ متمثلة في أنشطة تشمل المهارات اللغوية الأربع؛ تهدف لتشجيع المتعلمين على التفاعل، وإبراز قدراتهم وتمثلاتهم الذاتية. فمتعلمو اللغة الثانية يتميزون بخلفية لغوية استصحبوها خلال اكتسابهم للغة الأولى من جهة، ومن خلال نموهم الفيسيولوجي والعصبي؛ الذي يخول لهم القدرة على فهم سياقات المعاني؛ من خلال التجريد من جهة أخرى.

سمى جون بياجيه هذه المرحلة بالعمليات المجردة؛ وهي مرحلة تبدأ ما بعد سن الثانية عشرة سنة؛ **"تبدأ هذه المرحلة ما بعد سن الثانية عشرة: (ما بعد: 12). وفيها يفكر بالمجردات، ويتابع افتراضات منطقية، ويعلل بناء على فرضيات. يعزل عناصر المشكلة، ويعالج كل الحلول الممكنة بانتظام، ويصبح مهتما بالأمور الفرضية والمشكلات الإيديولوجية."**[9]

إن التركيز بشكل فعّال على مركزية متعلم اللغة من المنظور البنائي، يدفع المعلم إلى التنويع في الوسائل البيداغوجية المستعملة داخل الفصل الدراسي؛ إذ إن هذه النظرية تنص على أن فهم موضوع الدرس يختلف من متعلم إلى آخر؛ حسب طبيعة ذات المتعلم وقدراته العقلية. وبذلك فتنويع الوسائل البيداغوجية أثناء تقديم الدرس، يجعل المتعلمين يستبصرون الموضوع بالرغم من الفروق الفردية التي تتحكم في اختلاف قدراتهم. ومن هذا المنطلق؛ فتدريس المهارات الأربع يجب أن يعتمد على وسائل بيداغوجية متنوعة؛ منها السمعية، والبصرية، والسمعية البصرية من قبيل عرض: الصور، والفيديوهات، والتسجيلات الصوتية، والخرائط، والحاسوب، والبرامج الثابتة والمتحركة.

كما يجب أن تدرس المهارات الأربع انطلاقا من وضعيات معقدة، تجعل المتعلم يوظف فيها تمثلاته ومكتسباته اللغوية والثقافية. فكلما دفعت الوضعية المتعلم للتفكير والتأمل؛ شعر أنه جزء لا يتجزأ من العملية التعليمية من جهة، ومستوعبا للموضوع من جهة أخرى. كما أن هذه الوضعيات يجب أن لا تستثني التنوع في الوسائل البيداغوجية المذكورة آنفا؛ لأنها تقرب المتعلم من الفهم دون اللجوء إلى لغته الأولى، كما نصت على ذلك **الطريقة المباشرة؛ -"من مبادئ الطريقة المباشرة: الاعتماد على الشرح باللغة الهدف في الفصل، تعليم المفردات والجمل المتربطة بالواقع اليومي، الارتكاز على مهارات الاتصال الشفوي بناء على تدرج دقيق، من خلال تبادل الأسئلة والأجوبة بين المدرس والمتعلم داخل فصول صغيرة ومكثفة، تدريس المفردات من خلال الصور والفيديوهات والأشياء، التركيز على الفهم في تدريس الكلام والاستماع، التأكيد على النطق**

[8] جابر بن زاهر عسيري، مقالة: درجة ممارسة معلمي اللغة العربية لغة ثانية للتدريس البنائي، المجلة الدولية التربوية المتخصصة: المجلد 8، العدد الثالث: أذار 2019، ص:67.

[9]- الدكتور محمد فرحان القضاه، والدكتور محمد عوض الترتوري، أساسيات علم النفس التربوي، ، ص: 141- 142، وانظر كذلك: التربية وعلم النفس، للأستاذ حسن اللحية، ص: 29.

الصحيح والنحو"[10]-. وبذلك فكلما لجأ المعلم إلى التنويع في الوضعيات على المستوى البيداغوجي والمعرفي؛ تمكن المتعلم من الفهم، والتفاعل، وتحسن أداؤه اللغوي بشكل فعَّال.

3- تطبيقات النظرية البنائية على المهارات اللغوية الأربع:

إن للنظرية البنائية أهمية علمية قيمة بحثة؛ باعتبارها واحدة من أهم نظريات التعلم التي شكلت الخلفية السيكولوجية التي انطلقت منها طرق تدريس اللغات الأجنبية. وبذ. إن الإقبال على تعلم لغة جديدة، يضع المتعلم أمام قدرات تتيح له تلقي وإنتاج اللغة. **فالكفاءة اللغوية** لم تصبح مقتصرة على الإلمام بالقواعد الصوتية، والمعجمية، والنحوية فحسب؛ وإنما على مهارات تتيح لمتعلمها التمكن من اللغة **سماعا، وحديثا، وكتابة، وقراءة، وكتابة**. كما أن التعلم الصحيح ينبغي أن يقوم على مهارتي: الفهم والإفهام؛ لأن الهدف من تعلم المتعلم للغة هو تحقيق الفهم أثناء تلقيها، والإفهام أثناء التواصل بها؛ تواصلا سليما يراعي الوضوح والسلاسة؛ من حيث المبنى والمعنى.

وفي هذا السياق؛ يقول كل من علي حجاج، ونايف خرمة: "تتضمن عملية الاتصال جانبي الإرسال والاستقبال. ويتضمن جانب الإرسال في عملية الاتصال اللفظي الحديث والكتابة. أما جانب الاستقبال؛ فينظر إليه عادة على أنه من عمل حاستي البصر والسمع، وبالتالي فهو يعتمد على القراءة والاستماع، وكلاهما يتطلب عملا عقليا هو الفهم، ويتضمن الفهم إلصاق المعنى برسالة مرئية أو مسموعة"[11]

1.3- تطبيقات النظرية البنائية على مهارة الاستماع:

تتمحور النظرية البنائية على فاعلية دور المتعلم داخل المنظومة التربوية؛ من خلال سنح الفرصة له داخل الفصل لعرض تمثلاته، وتجاربه السابقة التي استقاها من المحيط والمجتمع. ومن هذا المنطلق؛ فتقديم نماذج تعليمية للاستماع، يجب أن يشرك المتعلمين في بناء الفهم والوصول إلى الرسالة الهدف. بيد أن هذا الإشراك يجب أن يراعي تمثلات المتعلمين؛ من خلال طرح أسئلة تسبق عرض شريط الاستماع؛ تثير المعرفة المسبقة عن الموضوع بالنسبة للمتعلم، وتحفزه على التفاعل وإبداء رأيه.

فمثلا؛ عندما يعرض الأستاذ شريطا صوتيا، عليه أن يربط موضوعه بتمثلات المتعلمين؛ من خلال طرح أسئلة عن الأفكار التي تدور في ذهنهم عنه قبل بداية الشريط، وذلك بهدف شد انتباههم، وإثارة رغبتهم في المشاركة من جهة، وربط معارفهم السابقة بمعارف جديدة تغني حصيلتهم اللغوية والمعرفية من جهة أخرى. وبعد ذلك يقدم الأستاذ شريط الاستماع، ويفتح المجال أمام المتعلمين للبحث عن الفكرة العامة للموضوع، والتفاعل معها بناء على تمثلات كل متعلم، وذلك بعد عرضه مرات متكررة؛ مع إبقاء فاصل زمني بين كل عرض؛ قصد دفع المتعلمين لتجميع الأفكار التي استنتجوها، وربطها بمكتسباتهم السابقة.

وتعمل هذه العملية على خلق أنشطة فعالة يكون المتعلم فيها؛ المحور البارز في بلورة العملية التعليمية التعلمية. ويبقى الأستاذ في هذه الوضعية مجرد مشرف متتبع لنشاط الاستماع. كما أن مشاركة المتعلم بأفكاره

[10] Jack C. Richard, Theodore S. Rodgers, Approaches and Methods in Language Teaching, Cambridge Language Teaching Library, Fifteenth printing: 1999, P: 9-10

[11] نايف خرما، علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت 1988، ص:89.

عن الموضوع، تفيد المتعلمين الذين يتعذر عليهم الفهم، أو يجدون صعوبة في المشاركة داخل الفصل بدافع عامل نفسي مصاحب؛ كالخجل أو التوتر.

2.3- تطبيقات النظرية البنائية على مهارة المحادثة:

تقوم **مهارة المحادثة** على التعبير الشفهي؛ الذي يوظف فيه المتعلم مجموعة من المهارات التي اكتسبها من تجاربه السابقة. وتشمل هذه المهارات؛ قدرته على الإلقاء والحديث دون تلعثم، وضبط المفردات والتراكيب اللغوية، والتمكن من النمط الصوتي للغة، والتدرج في ترتيب الأفكار، والقدرة على لفت انتباه المستمعين.
فالمتعلم يوظف كل ما تعلمه في السابق خلال ممارسته الشفوية. وفي هذا الإطار؛ فالنظرية البنائية تؤكد على أن التعلم يتحقق كلما أُفسح المجال للمتعلم التفاعل داخل الفصل، والانطلاق من **تمثلاته** أثناء الشرح. ولذلك فهذه النظرية تحرص على جعل المتعلم فاعلا نشيطا داخل الفصل؛ يسمح له بالتعبير عن أفكاره، ومكتسباته بدون خوف، أو ضغط خارجي.

ووفقا للنظرية البنائية؛ فدور الأستاذ يقوم على خلق أنشطة تعبيرية يكون المتعلم فيها فاعلا نشيطا؛ حيث يعمل على تقديم موضوع المحادثة والنقاش، ويترك المتعلمين يعبرون عن أفكارهم بكل حرية داخل فصل تربوي هدفه المشاركة الفعالة. كما أن الأستاذ يسعى لتوفير جو تربوي ملائم قوامه التركيز والانضباط، بعيدا عن الضجيج والتشويش، بيد أن دور المعلم يختلف من مستوى تعليمي لآخر. ففي المستوى الأول؛ يكون الأستاذ هو النموذج الذي يسعى المتعلمون لتقليده. بينما في المستويين المتوسط والمتقدم؛ تكون التعلمات موجهة للأنشطة الحوارية، وللنقاشات، وللعروض الشفوية؛ التي يتكلف المتعلمون بتقديمها انطلاقا؛ من تمثلاتهم، ومكتسباتهم التواصلية، وخافيتهم الاجتماعية، ورصيدهم اللغوي المستقى من مسارهم الدراسي، ومجريات الحياة العامة.

3.3- تطبيقات النظرية البنائية على مهارة القراءة:

لا ضير أن **مهارة القراءة** تتطلب التدبر والتأمل بغية الإلمام بموضوع القراءة، مما يحفز المتعلم على أخذ مساحة داخل الفصل للتمعن والتركيز في نص القراءة. فهذه العملية تولي الاهتمام بذات المتعلم، وتجعل تحقيق المهارة يكمن في خلق فرصة يكون فيها مشاركا فعالا؛ من خلال سنح المجال له لمناقشة تمثلاته السابقة، وربطها بالمعرفة الجديدة. فعندما يجد المتعلم نفسه أمام نص **للقراءة** يضم وضعية مشكلة؛ يقوم الأستاذ من خلال أسئلة بإثارة أفكاره السابقة المرتبطة بموضوع النص، ويدفعه إلى إيجاد صلة بين ما تعلمه سابقا، وبين ما يحاول أن يتعلمه حاليا أثناء القراءة؛ حتى يقع التكيف بين المعارف السابقة، والتعلمات الجديدة.

إن مهارة القراءة؛ سواء كانت بالطريقة الجهرية أو الصامتة؛ تتطلب مشاركة فعالة للمتعلم داخل الفصل. بيد أن هذه المشاركة، يجب أن تحفزه على الانطلاق من تجاربه المكتسبة، وأفكاره السابقة. ولكي يتحقق ذلك، فالأستاذ عليه أن يختار بعناية نصوصا ترتبط بواقع المتعلم؛ مرتبطة بالمجتمع، والمحيط، والثقافة، والحياة اليومية؛ حتى يتمكن المتعلم من الانطلاق مما اكتسبه سابقا، وإعادة تفعيله مع المكتسبات الجديدة من جهة، وتحفيز ذهنه على استقبال معرفة جديدة ينتفع بها في واقعه المعيش من جهة أخرى.

إن تطبيق النظرية البنائية على مهارة القراءة؛ يتجلى في تحديد زمن للتعليم كاف للمتعلم داخل الفصل؛ حتى يتسنى له تدبر النص وفهمه جيدا في إطار مشاركة فاعلة يكون للأستاذ دور الإشراف فيها، والمتمثل في انتقاء نصوص تراعي المستوى التعليمي، وتستند إلى مواضيع حية تثير رغبة المتعلم في عرض تمثلاته لمعالجة النص.

ومن هذا المنطلق؛ فتدريس مهارة القراءة للمتعلم الأجنبي؛ يقتضي تقديم نصوص عربية تمثل واقع وثقافة المجتمع العربي. لكن يجب أن تعطي هذه النصوص انطباعا للقارئ أنها نصوص واقعية تضم في طيتها قضايا سينتفع بها أثناء ممارسته للغة العربية؛ سواء داخل الفصل، أو خارجه.

كما أن من مميزات النظرية البنائية التي يمكن أن تفيد المتعلم في اكتساب مهارة القراءة؛ جعله قادرا على قراءة النص بمفرده دون الحاجة إلى فرد آخر لتحقيقها. فالقراءة عملية تفاعلية بين النص والمتعلم، وتطبيقها لا يؤطره زمان أو مكان معين. بيد أن القدرة على القراءة بعيدا عن الفصل الدراسي عملية تختلف من مستوى لآخر؛ إذ لا يستطيع متعلم المستوى الأول أن يحقق التعلم الذاتي، ويصل لفهم النص دون صعوبات. بينما تنجلي هذه الصعوبات تدريجيا؛ انطلاقا من المستوى المتوسط، والمستوى المتقدم؛ حتى يصبح المتعلم قادرا على القراءة دون تعثر.

4.3- تطبيقات النظرية البنائية على مهارة الكتابة:

تعتبر الكتابة **مهارة إنتاجية؛** تتيح للمتعلم التواصل باللغة، والتعبير عن أفكاره وتمثلاته كما شاء. لكن مرحلة الإنتاج هذه، تسبقها أنشطة مكثفة يشرف عليها الأستاذ داخل الفصل؛ وذلك انطلاقا من تخصيص تمارين تحفز المتعلم على الكتابة؛ من خلال الإملاء، والتدرب على إتقان الخط العربي، وصولا إلى الطلاقة الحركية والتعبيرية في الكتابة.

إن تطبيقات النظرية البنائية على مهارة الكتابة؛ تتمثل في تحفيز المتعلم على ممارسة الكتابة داخل الفصل؛ وذلك باختيار مواضيع تحفزه على عرض تمثلاته وتجاربه والتعبير عنها. فكلما وجد المتعلم نفسه أمام موضوع يمتلك فيه معلومات مسبقة، ومرتبط بواقعه ومحيطه؛ استطاع الكتابة بكل حيوية، وتمكن من التعبير بأريحية. لذلك؛ على الأستاذ أن لا يغفل على إفساح المجال أمام المتعلمين للتعبير كتابيا عن تمثلاتهم.

أثرت مجموعة من النظريات في إثراء ميدان تعليم وتعلم اللغات؛ حيث إن تعليم المهارات اللغوية الأربع أصبح يركز على دور وفاعلية المتعلم في تجويد عملية التعلم، ولم يعد دور المتعلم مقتصرا على التلقي السلبي؛ المرتكز على: الاستماع، والحفظ، والنقل، والتكرار. ومن بين أهم النظريات التي أولت اهتماما بالغا للمتعلم؛ النظرية البنائية؛ التي ركزت بشكل أساس على إبراز تمثلاته، ومهاراته، والانطلاق من تحفيز مكتسباته السابقة. وانطلاقا من مبادئ النظرية البنائية؛ فعملية تعليم اللغة الثانية يجب أن تركز على تقديم محتوى تربوي هدفه إثارة رغبة المتعلم في المشاركة الفعالة داخل الفصل الدراسي، والتركيز على ربط هذا المحتوى بواقع المتعلم؛ حتى يتسنى له توظيف مكتسباته ومهاراته في وضعيات تعلمية جديدة. ومن هذا المنطلق؛ فعملية تدريس المهارات اللغوية الأربع والمتمثلة في: الاستماع، والمحادثة، والقراءة، والكتابة؛ يجب ألا تغفل عن ربط التعلمات الجديدة بتمثلات للمتعلم من خلال وسائل بيداغوجية تعينه على التفاعل داخل الفصل الدراسي. فالتعلم وفق هذه النظرية تكيف دائم بين التعلمات السابقة، والتعلمات الجديدة.

لائحة المراجع:

1- المراجع العربية

د.عبدالكريم غريب، المنهل التربوي: معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية والديداكتيكية والسيكولوجية، منشورات عالم التربية، الجزء الأولى، الطبعة الأولى 2006، ص: 216.

د. حسن حسين زيتون، د. كمال عبدالحميد زيتون، البنائية منظور ابستمولوجي وتربوي، (لم تذكر دار النشر)، الطبعة الأولى 1992، ص:35.

عبدالرحيم واثق، تقويم الكفايات اللغوية واستراتيجيات تعليم وتعلم اللغة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2017، ص:59.

تحرير: محمد عودة الريماوي، علم النفس العام، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الثالثة 2008، ص:415.

التربية والنمو الذهني لدى الطفل، لجان بيجي، ترجمة محمد الحبيب بلكوش، ص: 27، نشر الفنك 1993، من غير ذكر رقم الطبعة.

جابر بن زاهر عسيري، مقالّ: درجة ممارسة معلمي اللغة العربية لغة ثانية للتدريس البنائي، المجلة الدولية التربوية المتخصصة: المجلد 8، العدد الثالث: أذار 2019، ص:67.

الدكتور محمد فرحان القضاه، والدكتور محمد عوض الترتوري، أساسيات علم النفس التربوي، ، ص: 141-142، وانظر كذلك: التربية وعلم النفس، للأستاذ حسن اللحية، ص: 29.

نايف خرما، علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت 1988، ص:89.

2- المراجع الأجنبية:

Linda Lambert, Deborah Walker and others, The Constructivist Leader: Second Edition, Foreword By: Maxine Greene, Published by Teachers College Press, Columbia University 2002, P:26.

Jack C. Richard, Theodore S. Rodgers, Approaches and Methods in Language Teaching, Cambridge Language Teaching Library, Fifteenth printing: 1999, P: 9-10.